محبطات الأعمال

د. محمد بن إبراهيم النعيم
رحمه الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن من كرم الله -عز وجل- على عباده أن من همَّ منهم بحسنة فعملها كتبها الله له عشر حسنات إلى أضعاف مضاعفة، ومن همَّ بسيئة كتبها الله -عز وجل- سيئة واحدة، فمن ثقلت موازينه يوم القيامة فقد أفلح، ومن خفت موازينه فقد خاب وخسر. وإن مما ينبغي التنبه له أن عواقب هذه الذنوب يوم القيامة على أنواع: فمنها ما يكتب لك بها سيئة واحدة، ومنها ما تحبط لك حسنات عديدة، ومنها ما يحبط كل الحسنات! ومثل هذه الذنوب هي ما تعرف بمحبطات الأعمال.

(١) الكفر والشرك

فمحبطات الأعمال هي أشد ما ينبغي على المسلم الحذر منه؛ لأنها تنقص الأجر والثواب. أما الذنب الذي يحبط جميع الأعمال ويخرج صاحبه من الملة فهو الكفر والردة عن الدين والنفاق الاعتقادي والوقوع في الشرك الأكبر والعياذ بالله، فقد قال تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. وقال تعالى ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. والكفر بالإيمان هو الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

ومما ينبغي أن نعلمه أن الذين ماتوا وهم كفار لكنهم عملوا بعض الأمور الحميدة في حياتهم فإن الله –عز وجل– لا يضيع ذلك عليهم، بل يجازيهم عليها في الدنيا فقط، قال تعالى

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ {١٥} أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾. ولذلك جاء في الصحيح من حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال ﷺ (إِنَّ اللَّه لا يَظْلِم مُؤْمِنًا حَسَنَة يُعْطِي بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَة، وَأَمَّا الْكَافِر فَيُطْعَم بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَة لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَة يُجْزَى بِهَا) رواه مسلم. وَفِي رِوَايَة قال ﷺ: (إِنَّ الْكَافِر إِذَا عَمِلَ حَسَنَة أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَة مِنْ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِن فَإِنَّ اللَّه تَعَالَى يَدَّخِر لَهُ حَسَنَاته فِي الآخِرَة ، وَيُعْقِبهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَته). قال الإمام النووي –رحمه الله تعالى– في شرحه على هذا الحديث: أَجْمَعَ الْعُلَمَاء عَلَى أَنَّ الْكَافِر الَّذِي مَاتَ عَلَى كُفْره لا ثَوَاب لَهُ فِي الآخِرَة ، وَلا يُجَازَى فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَله فِي الدُّنْيَا، مُتَقَرِّبًا إِلَى اللَّه تَعَالَى، وَصَرَّحَ فِي هَذَا الْحَدِيث بِأَنَّهُ يُطْعَم فِي الدُّنْيَا بِمَا عَمِلَهُ مِنْ الْحَسَنَات، أَيْ : بِمَا فَعَلَهُ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَى اللَّه تَعَالَى مِمَّا لا يَفْتَقِر صِحَّته إِلَى النِّيَّة، كَصِلَةِ الرَّحِم وَالصَّدَقَة وَالْعِتْق وَالضِّيَافَة وَتَسْهِيل الْخَيْرَات وَنَحْوهَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِن فَيُدَّخَر لَهُ حَسَنَاته

وَثَوَاب أَعْمَاله إِلَى الآخِرَة ، وَيُجْزَى بِهَا مَعَ ذَلِكَ أَيْضًا فِي الدُّنْيَا، وَلا مَانِع مِنْ جَزَائِهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْع بِهِ فَيَجِب اِعْتِقَاده اهـ.

أما لو أسلم الكافر ومات على الإيمان، كفَّر الله عنه سيئاته، وكتب له حسناته التي عملها في جاهليته، فقد روى النسائي عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلامُهُ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا، وَمُحِيَتْ عَنْهُ كُلُّ سَيِّئَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا، ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ الْقِصَاصُ، الْحَسَنَةُ بِعَشْرَةِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، وَالسَّيِّئَةُ بِمِثْلِهَا إِلاَّ أَنْ يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا). وعندما سألت عائشة –رضي الله عنها– رسول الله ﷺ عن حال الكفار الذين ماتوا على كفرهم ولكنهم كانوا يقدمون للناس الخير هل ذلك نافعهم يوم القيامة؟ فماذا قال لها؟ روت عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: (لا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ). رواه مسلم وأحمد.

فهذا عبد الله بن جدعان الذي كان كثير الإطعام للضيوف ويصل أرحامه ويطعم المساكين، لم ينفعه ذلك في الآخرة لكونه مات وهو كافر جاحد بيوم البعث والنشور.

فإذا علمنا ذلك علمنا خطأ بعض الناس الذين يتألون على الله –عز وجل– ويقولون أن مخترع السيارة أو الكهرباء أو المكيف مثلا سيدخل الجنة بسلام؛ لأنه قدم للبشرية خدمة عظيمة، وبعضهم قد يدعون لهم بالرحمة على ما قدموه من عمل، فهذا أمر خاطئ؛ لأنه من ابتغى غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، وكل كافر قَدَّمَ خيرا فالله –عز وجل– سيعطيه أجره في الدنيا، في صورة مال أو صحة أو شهرة أو نحو ذلك، لأن جنته في دنياه فقط، قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

ولقد قرأنا في بعض الصحف وشبكات التواصل الاجتماعي لبعض العلمانيين والجهلة بالدين ثناءهم ودعاءهم بالرحمة لنلسون مانديلا رئيس جنوب أفريقيا السابق حينما توفي،

واستغرابهم من تحريم العلماء للدعاء له بالرحمة، وقد كتبت أحد الصحف الالكترونية التي تصدر في أحد الدول العربية عنوانا: قالت فيه: شيخ سعودى يصدر فتوى من فتاوى العار لا يجوز الترحم على مانديلا لأن ذلك يخالف الشريعة الأسلامية.

وما علم هؤلاء أنه لا يجوز الترحم على الكفار، ولم نسمع عن هؤلاء أنهم أثنوا على علماء الإسلام يوما من الأيام. نعم يجوز للمسلم أن يثني على الكافر على جهوده ولكن لا يجوز الترحم عليه، وقد نهى الله نبيه إبراهيم –عليه السلام– أن يدعو لوالده الكافر فقال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾. ومعنى قوله تعالى تبرأ منه: أي ترك الاستغفار لأبيه بعد أن علم أنه سَيُصِرُّ على الكفر ويموت عليه. وبعض الناس قد يدعو للاعب غير مسلم سجل هدفا فيقول داعيا: ينصر دينك!

ومن صور الكفر التي تحبط العمل:

أولا: السخرية بالدين وأهله: قال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ

وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ{٦٥} لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾.

ثانيا: كراهية شيء من الدين: فقد قال –عز وجل–: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾، لذلك فليحذر من لا يعجبه شيء من شرع الله أو سنة رسول الله ﷺ وأن لا يوافق هواه فيكرهه فيحبط عمله.

لذلك رغبنا نبينا ﷺ أن نقول: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ثلاث مرات في الصياح والمساء، ومن قال ذلك فله ثواب عظيم، حيث روى ثوبان ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (ما من عبدٍ مسلمٍ يقولُ حين يصبحُ وحين يمسي ثلاثَ مرَّاتٍ رضيتُ باللهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ ﷺ نبيًّا، إلا كان حقًّا على اللهِ أنْ يُرضيَهُ يومَ القيامةِ) وحسنه شيخنا ابن باز –رحمه الله–.

ثالثا: إتباع ما يسخط الله تعالى من المعاصي وكراهية العمل بما يرضيه –عز وجل– من الطاعات: لقوله تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

ومن محبطات الأعمال التي تحبط كل الحسنات وتخرج صاحبها من دائرة الإسلام: **الشرك بالله -عز وجل-**: والشرك نوعان أكبر وأصغر، فأما الشرك الأكبر فهو يحبط العمل كله ويخرج صاحبه من الملة. وهو أعظم ذنب عصى ابن آدم ربه به، فهو أبغض ذنب عند الله -عز وجل-، ومن مات عليه فلن يغفر الله له، قال تعالى ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾.

ولقد بلغ الخطاب الإلهي في تقرير هذه الحقيقة الشرعية وهو يخاطب نبيه محمد ﷺ على سبيل التغليظ على أمته، فالرسول ﷺ على شرف منزلته لو أشرك لحبط عمله فكيف بسائر الناس؟ لكنه ﷺ لا يشرك بالله لعلو مرتبته ولأن الردة تستحيل منه شرعا فهو المعصوم الذي عصمه الله تعالى، ومع ذلك قال له: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، وقال تعالى في سورة الأنعام مخبرا عن الرسل جميعا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

لذلك ينبغي الحذر كل الحذر من الشرك وأن نحفظ جناب التوحيد من أي مثلب من مثالب الشرك كالاستغاثة بالجن وبالصالحين من أهل القبور وطلب المدد منهم أو الطواف حول قبورهم.

وقد يقول قائل: نحن نعلم بأن الشرك والكفر مبطل للأعمال ويخرج صاحبه من الملة فما الداعي للاسترسال في مثل هذا الموضوع؟ فأجيبه بأن الهدف من ذكر ذلك عدة أمور منها:

أولا: التخويف من خطر الشرك بالله –عز وجل– أو النفاق، وأن المسلم قد يخرج من الإسلام بكلمة كما دخله بكلمة. لذلك ينبغي الحذر كل الحذر من الأعمال التي تفضي إلى الشرك كالاستغاثة بأهل القبور والطواف حول الأضرحة وصرف أي عبادة لغير الله –عز وجل– وما أكثر من يفعل ذلك في دول العالم الإسلامي.

ثانيا: لرفع معنوية المسلم وإحساسه بالعزة بدينه وتمسكه به إذا علم بأن مآل هؤلاء الكفار يوم القيامة هو جهنم، وأنه لن يقبل منهم عملهم، فلا ينبغي أن نغترَّ بأيِّ كافر ولا ينبغي أن تعجبنا أموالهم ولا أولادهم ولا نغتر بما هم فيه من مدنية وما وصلوا إليه من حضارة قال تعال ﴿لا يَغُرَّنَّكَ

تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

ثالثا: ليس هناك ارتباط بين ما وصل إليه هؤلاء الكفار من تطور ورقي في العلم وبين ما هم عليه من دين. فإنما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من قوة وحضارة وتمكين لأنهم أخذوا بأسباب العلم، فهذه هي سنة الله في خلقه، وسنة الله في خلقه لا تحابي أحدا، فمن أخذ بها وصل إلى ما وصلوا إليه، ولقد كان المسلمون منذ عدة قرون هم أهل الحضارة والقوة والزعامة فلما ركنوا إلى الدنيا انطفأ نورهم. فمن لهى وغفل وأنفق ماله ووقته في الملهيات كان في مؤخرة الركب.

رابعا: أن لا نشهد لأي إنسان منهم بجنة مهما قدم للبشرية من خير، بل ولا نشهد بذلك للمسلم، إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ بذلك، وإنما نرجو للمسلم خيرا.

(٢) (انتهاك محارم الله في السر)

فعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ، أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا)، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ، قَالَ: (أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا) رواه البيهقي وابن ماجه.

فإذا كان صاحبُ رسول الله ﷺ ثوبان ﷺ يخاف أن يكون منهم، ويحذر أن يكون من جملتهم؛ فماذا سنقول نحن، والتقصير قد ملأ حياتنا، والشهوات قد أحاطت بنا من كل جانب، ومنسوب الإيمان قد قلَّ في قلوبنا إلا من رحم الله ؟ فهذا الصحابي ثوبان ﷺ يقول: " صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ" ، فيجيب ﷺ بما لم يكن في الحسبان، ويخبر أنهم من المسلمين، ولهم من الأعمال الجليلة ما لهم؛ لكنهم جعلوا الله – عز وجل – أهون الناظرين إليهم عندما راقبوا الناس، فعملوا في الظاهر ما يخالف الباطن، ووقعوا في محارم الله، ونسوا أو تناسوا

أن الله بكل شيء عليم، وأنه يعلم السر وأخفى. ومحارم الله: هي كل ما حرمه الله تعالى من الصغائر والكبائر.

فلماذا هؤلاء انتهكوا المحرمات في السر؟ لأنه ليس في قلوبهم من التقوى ومراقبة الله –عز وجل– ما يكفي لحجزهم عن الحرام، فأكلت سيئاتهم حسناتهم. وأصبحت حسناتهم هباء منثورا. وتأملوا كيف أن الله تعالى أراهم حسناتهم كالجبال، ثم جعلها أمامهم هباء منثورا ليزيدهم حسرة.

فبعض الناس قد يظهر أو يتظاهر بالصلاح والاستقامة للملأ، ولكنه إذا اختلى بنفسه، لم يراقب الله تعالى ولم يستح منه، فوقع في المحرمات.

والاختلاء لا يشترط فيه الخلوة عن الناس، فقد ترى شابا يجلس أمام والديه وإخوته، ولكنه ينظر في جواله يقلب صفحات الانترنت على مواقع إباحية وجلساؤه لا يعلمون به، وقد ترى شابا يسافر إلى بعض الدول التي تعلن الفجور، فيفجر معهم؛ لأنه لا يرى فيها أحدا يعرفه، ناسيا ربه المطلع عليه.

ومن هؤلاء من تكون خلواته في مشاهدة القنوات الفضائية الفاسدة، والنظر في الإنترنت إلى مواقع الجنس الفاضح، واستعمال أسماء مستعارة للمحادثة والمراسلة مع الأجنبيات، وقد تجد لهؤلاء نصيبا في الظاهر من الاستقامة، في اللباس، والصلاة، والصيام، ومن هنا كان هذا الحديث محذِّراً لهم أن يجعل حسناتهم هباء منثورا يوم القيامة، إن لم يبادروا بالتوبة.

إذَا مَا خَلَوتَ الدهْرَ يَومًا، فَلا تَقُل خَلَوتُ، وَلكن قُل عَليّ رَقيب

وَلا تَحْسَبَن اللهَ يَغْفُل ساعةً وَلا أنَّ مَا يَخْفى عَلَيْه يَغيب

فالواجب على المسلم أن يحذر من ذنوب الخلوات، فالله تعالى قد ذم من يستخفي بذنبه من الناس، ولا يستخفي من الله، قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾.

ولنعلم بأن ذنوب الخلوات مدعاة لسوء الخاتمة، قال ابن القيم –رحمه الله تعالى–: "أجمع العارفون أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وأن طاعة السر هي أصل الثبات"

ولنعلم أن الله تعالى قد يبتلي عبده فيهيئ له معصية، ليرى هل يخافه بالغيب؟ أم أنه لا يخشاه إلا بحضور الناس فقط؟ قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فانتبه يا عبد الله من المعصية حين تكون لوحدك، ولذلك كان أجر من دعته امرأة ذات منصب وجمال بعد أن اختلت به، الاستظلال تحت العرش يوم القيامة؛ لأنه قال لها: إني أخاف الله.

فلنخش الله تعالى في السر والعلن، ولا نجعل الله تعالى أهون الناظرين إلينا، ولنكثر من الطاعات والعبادات في السر والخفاء، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

الخلاصة التي ينبغي أن نخرج بها: أن نحفظ حديث ثوبان ﷺ حفظا جيدا ونجعله نصب أعيننا، فهو حديث خطير، قال فيه ﷺ: (لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي، يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ،

أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا)، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ، قَالَ: (أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا).

فالله الله في السرائر، فيجب على كل مسلم أن يصلح سريرته، وليكن حرصه على باطنه وسريرته، أعظم من حرصه على ظاهره ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ{٩} فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾.

فلا يكفي أن تجمع الحسنات، وإنما المهم أن تحافظ على هذه الحسنات حتى لا تذهب هباء منثورا.

إِذَا ما خَلَوْتَ بِرِيبَةٍ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَّفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى العصيان

فَاسْتَحِ مِنْ نَظَرِ الإِلَهِ وَقُلْ لَهَا إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلامَ يَرَانِي

(٣) (التألي على الله)

فماذا يعني التألي على الله؟ وهل هو منتشر بين الناس؟

فعَنْ جُنْدَبٍ بن عبد الله البَجَلي ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: (وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ) أَوْ كَمَا قَالَ. رواه مسلم، ومعنى (يتألى علي): أي يقسم علي.

فهذا الحديث يبين عدة مسائل مهمة:

أولا: لا يجوز للمسلم أن يقول لأخيه ولو مازحا: والله لن يغفر الله لك، أو لن يدخلك الجنة أبدا؛ أو والله أنك ستدخل النار، لما في ذلك من القولِ على الله بغير علم، والتدخل في شؤون الخالق –جل وعلا–. فلا يجوز لنا أن نحجر –رحمة الله– عن أحد، فالكل تحت المشيئة، ولا نجزم لأحد بدخول جنة أو نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ بذلك، فبعض الناس تراه يقول عن شخص ما: هذا رجل صالح لم يضر أحدا ولا يعرف قلبه الحقد على أحد، هذا أشهد بأنه من أهل

الجنة وسيدخلها سلاما سلاما!

والبعض الآخر إذا رأى رجلا بارا بأحد والديه مدحه قائلا: هذا رجل ما قصر في حق والديه، وأشهد أنه لن يُسأل عنهما يوم القيامة، وما أدراك أنه لن يسأل؟ ولِم التقول على الله بما لا تعلم؟

فلا يشرع أن تحكم بأن الله راضٍ عن فلان، أو أن تحكم بأن الله ساخطٍ على فلان، فهذا ما لا نعلمه؛ لأن هذا ليس لنا وإنما هو علم يختص به الله –عز وجل–، فلا يعلم السرائر إلا الله –عز وجل–، فإن شاء الله عفا عن عبده وإن شاء أخذه بذنبه. لذلك لا يجوز للمسلم أن يقتحم هذه الأمور ويتصدى لها فإنها من كبائر الذنوب، خصوصا إذا اقسم في كلامه متأليا على الله فيصبحَ هذا الذنبُ محبطا لعمله.

ألا تعلموا بأن الجزم بأن فلان في الجنة غير مشروع حتى لو كان رجلا تقيا، فكيف بمن يقسم على ذلك؟

فعندما توفي أبا السائب عثمان بن مضعون ﷺ دخل عليه النبي ﷺ وكانت بجواره أم العلاء رضي الله عنها فقالت: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ لها النَّبِيُّ ﷺ: (وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ)؟ فقالت: لا أَدْرِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَمَّا عُثْمَانُ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللَّهِ الْيَقِينُ، وَإِنِّي لأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِهِ)، فقَالَتْ: فَوَاللَّهِ لا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَدًا وَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ، قَالَتْ: فَنِمْتُ فَأُرِيتُ لِعُثْمَانَ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: (ذَاكِ عَمَلُهُ) رواه البخاري.

فلا يجوز للمسلم أن يزكي آخر في أمر من أمور الآخرة، وأما في أمور الدنيا فلا حرج.

وكذلك الحالُ مع غيرِ المسلمين، فالكفارُ والمشركونَ نحكم عليهم جملة بالكفر والشرك، ولكن لا نحكم لأي حي منهم بأنه في النار، لأننا لا ندري بم يُختمُ له، فلعله يسلم.

ثانيا: ومما يستفاد من الحديث أن الرجلَ الصالح يجب عليه ألا يحتقر أحدا من المقصرين المذنبين، وألا ينظر إليهم بعينِ الازدراء، وألا ينظر إلى نفسه بعين التعظيم والكبر والإعجاب، فإن

ذلك من موجبات الهلاك. فذلك العابد الناصح اغتر بصلاحه، وأعجب بنفسه، واحتقر ذلك العاصي لأجل إصراره على ذنبه، لذلك قيل: رب معصية أورثت ذلا واستصغارا، خير من طاعة أوجبت عُجبا واستكبارا.

ثالثا: على المسلم الذي نَصَّبَ نفسه للدعوة إلى الله أن يُحسِّن أسلوبه مع الناس، وأن يكون همه كسب قلوبهم لا كسب موقفٍ عليهم.

رابعا: يحرم على المسلم تقنيط أي إنسان من رحمة الله التي وسعت كل شيء، فإن العاصي حينما يرى أن باب الرحمة والتوبة قد أُغلق في وجهه، فسيستمر في معاصيه، ويزدادُ انحرافا وعصيانا، ولنا عبرة في قصة من قتل تسعة وتسعين شخصا وأراد التوبة، فذهب إلى عابد جاهل في أحكام الدين، فسأله هل له من توبة، فاستعظم العابد ذنبه، فقال: ليس لك توبة – وكأن لسان حاله يقول: لن يغفر الله لك بسبب عظم ذنبك – فقام فقتله وأكمل به المائة.

فبدل التقنيط من رحمة الله استخدم أسلوب الترغيب والترهيب فيما ورد من أحاديث نبوية،

فإنها خيرُ معين لعودة العاصي إلى رشده.

حديث المتألي على الله حديث عظيم، فيه العديد من الفوائد والعبر، ولكن بعض الناس أساء فهم هذا الحديث، وجعله حجة في ترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فبعض المذنبين يستدلون به على أن يُتركوا وشأنهم وأن لا يناصحوا، أخذا بالرواية التي ذكرها الإمام أحمد وأبو داود عن أبي هريرة ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: (كَانَ رَجُلانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا؟ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.

فهذا الحديث يرشد الدعاة إلى الصبر على أذى المدعوين، فإن بعضهم قد يتلفظ عليك ويؤذيك بلسانه حينما تُقدّمُ له النصيحة، وقد قال الله –عز وجل– على لسان لقمان ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.

فهذا العابد قال لصاحبه حينما رآه يسرف على نفسه بالمعاصي: أقصر عن الذنب، فرد عليه قائل: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ وكأنه يقول له: أنا حر ولا تتدخل في شؤوني، فغضب العابد ولم يصبر، فقال مقولته التي أوبقت عمله، فتألى على الله وأقسم قائلا: وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، فقاده الغضب إلى التألي على الله والقول على الله بغير علم.

فإذا نصحك إنسان لا ترد نصيحته، ولا تقل له عليك نفسك ولا تتدخل في شؤوني، فإن ذلك من أبغض الكلام عند الله –عز وجل–، فقد روى عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتق الله، فيقول: عليك نفسك) رواه النسائي في السنن الكبرى والطبراني.

الخلاصة التي يجب أن نخرج بها من هذه الكلمات: أن نعرف خطر التألي على الله وهو القسم بأن فلان في الجنة أو في النار، فلو رأيت مسلما قتل مئات أو آلاف المسلمين الصالحين، فلا يشرع لنا أن نجزم ونقسم بأنه في النار، فإن ذلك محرم، بل يحبطُ العملَ والعياذُ بالله. نعم يجوز لك أن تدعو عليه بالنار والعذاب، ولكن لا تتألى على الله فتقسم بأن الله سيدخله النار، فإن ذلك يحبطُ العملَ.

(٤) (الرياء)

الرياء يعد من الشرك الأصغر، الذي يتغلغل في النفوس وقلما ينجو منه أحد، فما هو الرياء؟ وما خطره على أعمالنا؟ وما الوسائل التي تساعدنا على التخلص منه؟

فالرياء شرك، بل شرك خفي ويكون بإظهار العبد عبادته للناس، لينال عَرَضاً من الدنيا، يُظهر العبادة حتى يراه الناس فيُمدح، فالرياء مشتق من الرؤية كما أن السُّمعة مشتقة من السماع والاستماع حيث يريد المرائي والمسمِّع أن يراه الناس ويسمعونه، فهو يطلب حظ نفسه من عمله في الدنيا لينال الحظوة عند الناس، فأعماله لغير الله تعالى، لذلك يحبط الله عمل العبد الذي رآئى فيه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) رواه مسلم. وروى أبو سعيد بن أبي فضالة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ

الشِّرْكِ) رواه الترمذي وابن ماجه.

فأي عبادة تعملها لله، وتطلب فيها ثناء الناس يبطل ثوابها، فقد جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلاً غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا شَيْءَ لَهُ)، فَأَعَادَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لا شَيْءَ لَهُ)، ثُمَّ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنْ الْعَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ) رواه الترمذي وأبو داود.

والرياء عواقبه وخيمة؛ لأن الله عز وجل سيفضح المرائين بكشف نواياهم أمام الخلق أجمعين حيث روى جندب بن عبدالله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من سمّع سمَّع الله به، ومن يراء يراء اللهُ به) رواه البخاري ومسلم، أي من أظهر عمله للناس رياء أظهر الله نيته الفاسدة في عمله يوم القيامة، وفضحه على رؤوس الأشهاد، بعد أن ظنَّ أنه كان يحسن في الدنيا صنعا. قرأ سفيان الثوري قوله تعالى ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ فقال: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم وقصتهم.

ولا يكفي بطلان ثواب المرائي وفضح أمره يوم القيامة، وإنما سيتبع ذلك دخول النار، ألا تعلموا أن أول من تسعر بهم النارُ يوم القيامة، أناس مسلمين قدَّموا أعملا جليلة، ولكنهم راءوا في أعمالهم؟ قال أبو هريرة ﷺ: (حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يَقْتَتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلائِكَةُ كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ إِنَّ فُلانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ فِي مَاذَا قُتِلْتَ فَيَقُولُ أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ كَذَبْتَ وَتَقُولُ لَهُ الْمَلائِكَةُ كَذَبْتَ وَيَقُولُ اللَّهُ بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه الترمذي، أرأيتم كيف أن المرائين هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة؟

لذلك حذَّر النبيَ ﷺ من الرياء وبين أنه أشد خطرا على الأمة من فتنة المسيح الدجال، فقد روى أبو سَعِيدٍ الخدري رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ)؟ قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ) رواه ابن ماجه.

إن صور الرياء في المجتمع كثيرة، فبعض الناس إذا رجع من أداء العمرة قال لبعض زملائه: لقد دعوت لكم عند الكعبة، مع أن النبي ﷺ حثنا أن ندعو لإخواننا بظهر الغيب، وبعضهم تراه يتصدق في بعض المحافل الخيرية لا ليكون قدوة لنظرائه الأغنياء، وإنما غايته أن

يسجل أنه الداعم الذهبي أو الفضي. وبعضهم تراه يتحدث عن أعماله الصالحة عند الآخرين، وربما ذكر كم حجة حجها، وكم عمرة اعتمرها، وهو لم يسأل عن ذلك. وربما ذكر مساعدته للناس بجاهه أو ماله يريد بذلك المنزلة عند الناس، وأنه من المحسنين، فما الداعي للتحدث بأعمالك عند من لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا يملكون موتا، ولا حياة، ولا نشورا؟ فالصالحون دأبهم أن يعملوا العمل الصالح لا يريدون به جزاء ولا شكورا، لقوله تعالى ﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا﴾.

والرياء من صفات المنافقين الذين قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَاءونَ ٱلنَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.

فينبغي علينا أن نحذر هذا الشرك، وأن نخاف على أعمالنا منه، وأن يسأل كُلٌّ منَّا نفسه دائما: ماذا أردتُ بذلك العمل؟ ماذا أردتُ بتلك الكلمة؟ مَن أقصدُ بتلك الطاعة؟ فإن الرياء أمره خطير، وهو مدخل من مداخل الشيطان على الصالحين، وقد خافه النبي على صحابته الذين هم

أتقى الأمة بل وخافه عليهم أشد من خوفه من فتنة الدجال كما سبق

وكان السلف يدفعون الرياء عن قلوبهم بإخفاء العمل، فيحرصون على القيام ببعض الطاعات دون أن يراهم أحد.

ولكن بعض الناس من شدّة خوفه من الرياء، يجرّه ذلك لترك العمل، يريد أن يقرأ القرآن في المسجد، فيأتيه الشيطان ويقول له: أنت مرائي، لا تقرأ أمام الناس، فيترك القراءة، فهذا من تلاعب الشيطان ووساوسه؛ لأنه يريدك أن تترك طاعة الله لتقل حسناتك، فالواجب إذا أحسست بهذا أن تستعيذ بالله، وتستمر في عبادتك، وبانتهاج هذا المسلك سيزول عنك ما يجري في نفسك من خوف الرياء.

وقد يُستحب إظهار العمل لمصلحة، كأن يكون قدوة للناس، فيتصدّق ليراه الناس فيتشجّعون على الصدقة، فعندها يُظهر الإنسان عمله على حسب المصلحة، إذا لم يخف الرياء، فمن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

واعلموا أن الرياء شرك أصغر: وهو إرادة غير وجه الله في طاعة من الطاعات، أو تشريك النية بين الله جل وعلا وغيره، وكلاهما مما يمقته الله ويعاقب عليه، فضلا عن حبوط عمل صاحبه، وضياع جهده وبذله.

فالرياء من مفسدات الأعمال، فهو يفسد العمل الذي راءيت فيه، فانظروا إلى ذلك المجاهد كيف بطل جهاده؛ لأنه جاهد ليقال جريء، وانظروا إلى ذلك القارئ الذي قام الليل كيف بطل قيامه وثواب قراءته.

كيف السبيل لكي تكون أعمالنا خالصة لوجهه تعالى دون رياء أو مفاخرة؟ هناك ثلاثة سبل: السبيلُ الأول: أن تستشعر مراقبة الله لك، أن تكون متعبدا لله ترجو ثواب الله ولا ترجو أحدا من الناس أن يمدحك، وأن تعلم أن العباد لن ينفعوك بشيء يوم القيامة، ولن يعطوك حسنة واحدة، وحينئذ لن تبالي بهم سواء علموا بعبادتك أو لم يعلموا، أو أثنوا عليك أو لم يثنوا عليك، وقد جاء في الحديث أن الله تعالى يقولُ يومَ القيامةِ للمرائين: اذهبوا إلى ما كنتم تُراءون في الدنيا

فانظروا هل تجدون عندَهم مِن جزاءٍ)؟

السبيل الثاني: الحِرْص على كِتْمان العمل وإخفائه، وقد قال ﷺ (من استطاع منكم أن يكونَ له خَبيءٌ من عملٍ صالحٍ فلْيفْعلْ)، واعلم أنه كلما أخفيت أعمالك عَظُمَ أجرك، ألا تعلم بأن الذي يصلي النافلة في المكان الذي لا يراه فيه أحد يتضاعف ثوابها إلى خمس وعشرين ضعفا عمن صلاها أمام الناس؟ فقد روى صهيب الرومي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسا وعشرين) رواه أبو يعلى.

وقد سُئل بعضُ الحُكماء: مَن المخلص؟ فقال: "المخلِص الذي يَكْتُم حسناتِه كما يكتم سيئاتِه.

السبيل الثالث: أن تقول الدعاء الذي رواه أبو بكر الصديق ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (الشركُ فيكم أخفى من دبيبِ النملِ، وسأدلُك على شيءٍ إذا فعلتَه أذْهَبَ عنك صَغارُ الشركِ وكبارُه، تقولُ: اللهمَّ إني أعوذُ بك أنْ أُشرِكَ بك وأنا أعلمُ، وأستغفرُك لما لا أعلمُ) رواه **الحكيم الترمذي**.

فالخلاصة التي ينبغي أن نخرج بها من هذه الكلمات: أن نحذر الرياء لأنه يبطل الأعمال، وأن نجاهد أنفسنا على إخلاص العمل لله عز وجل وأن نكتم أعمالنا قدر المستطاع، وأن نحفظ الدعاء المأثور عن النبي ﷺ في الوقاية من الرياء، بقول: (اللهمَّ إني أعوذُ بك أنْ أُشرِكَ بك وأنا أعلمُ، وأستغفرُك لما لا أعلمُ).

(٥) (رفع الصوت عند النبي ﷺ والتقدم على قول الله ورسوله ﷺ وترك صلاة العصر)

ومن هذه الذنوب التي تحبط الأعمال: سأذكر لكم ثلاثة ذنوب: الأول: رفع الصوت عند النبي ﷺ، وهل هذا النهي رُفِعَ عنَّا بموته ﷺ أم لا يزال قائما؟

لقد حذر –جل وعلا– أن من يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ يحبط عمله، فقال في سورة الحجرات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾، وعندما نزلت هذه السورة خاف أحد الصحابة وكان جهور الصوت أن يحبط عمله، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ... إِلَى آخِرِ الآيَةِ﴾ جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَاحْتَبَسَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: (يَا أَبَا عَمْرٍو مَا شَأْنُ ثَابِتٍ، اشْتَكَى)؟ – أي هل هو مريض؟– قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَجَارِي وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى،

قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)، قال: فَكُنَّا نَرَاهُ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، متفق عليه.

والسؤال هل هذا الحكم لا يزال قائما أم رفع عنا بموت النبي ﷺ؟ يمكن أن نعرف جواب ذلك من حياة الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ عنهم، ومن فهمهم لكتاب الله -عز وجل-، فقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يغضون أصواتهم عند قبر النبي ﷺ، حيث روى السَّائِبُ بْنُ يَزِيد ﷺ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ، فَحَصَبَنِي رَجُلٌ فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ: مَنْ أَنْتُمَا أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ رواه البخاري.

ومرة من المرات ناظر أبو جعفر الخليفة، مالكاً الفقيه العلامة الثقة المحدث، ناظره في المسجد النبوي، أي: مناقشة، فقال الإمام مالك للخليفة: لا ترفع صوتك يا أمير المؤمنين في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً، فقال: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ) وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر، نزل عند نصح الإمام مالك.

ويرى بعض أهل العلم أن هذا الحكم يجب العمل به عند سماع أحاديث النبي ﷺ، فقد ذكر القرطبي –رحمه الله تعالى– في تفسيره نقلاً عن ابن العربي قوله: حرمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًا، وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة، مثال كلامه المسموع من لفظه، فإذا قُرئ كلامه وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يعرض عنه؛ كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به اهـ.

لذلك يجب علينا أن نتأدب في حضرة أي مجلس للعلم يقرأ فيه أحاديث النبي ﷺ فلا نلهو ولا نتمازح ولا نرفع أصواتنا، لئلا تحبط أعمالنا ونحن لا نشعر.

قال الخطيب البغدادي: أَرَى رَفْعَ الصَّوْتِ عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، كَرَفْعِ الصَّوْتِ عَلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، إِذَا قُرِئَ حَدِيثٌ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تُنْصِتَ لَهُ كَمَا تُنْصِتُ لِلْقُرْآنِ، وقال: فَمَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ عِنْدَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ، فَكَأَنَّمَا رَفَعَ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وكان عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله تعالى: إذا قَرأ حديث رسول الله ﷺ أمر الحاضرين بالسكوت، فلا يتحدث أحد، ولا يُبرى قلم، ولا يبتسم أحد، كأن على رؤوسهم الطير.

لذلك يجب علينا التأدب عند سماع أحاديث النبي ﷺ حتى لا يتعرض أحدنا لحبوط عمله وهو لا يشعر.

وأما الذنب الثاني الذي يحبط الأعمال: التقدم على قول اللهِ عز وجل ورسولهِ ﷺ، فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

قال الإمام ابن القيم: إذا كان مجرد رفع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم يحبط العمل، فكيف بمن قدم العقل على قول وفعل النبي ﷺ؟ فالذي يقدم رأيه على قول الله وقول رسوله ﷺ فقد حبط عمله.

فكيف لو عاش ابن القيم في زماننا ورأى من لا يقدم قوله وعقله وفكره على قول وفعل النبي ﷺ فحسب، بل ويتهم شريعة النبي ﷺ بالجمود والقصور والرجعية والتخلف، وعدم قدرتها على مسايرة مدنية القرن الحادي والعشرين، فيقدم شريعة البشر على شريعة الله عز وجل، ويحارب من ينادي بتحكيم شرع الله عز وجل.

و من محبطات الأعمال الأخرى التي حذر منها النبي ﷺ ترك صلاة العصر حتى يخرج وقتها، وهو الذنب الثالث.

لقد أمر الله –عز وجل– بالمحافظة على الصلوات الخمس عمومًا وأكد على صلاة العصر خصوصًا لأهميتها فقال عز وجل: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾.

وقد روى أَبو الْمَلِيحِ –رحمه الله– قَالَ: كُنَّا مَعَ بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ، فَقَالَ: بَكِّرُوا بِصَلاةِ الْعَصْرِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (مَنْ تَرَكَ صَلاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ) رواه البخاري. وعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– أن رسول الله ﷺ قال: (الَّذِي تَفُوتُهُ صَلاةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ) متفق عليه. أي من صلى العصر خارج وقتها، سيعاني من الحسرة والأسف والعذاب الشديد يوم القيامة كحسرة ومصيبة من فقد أهله وماله في لحظة واحدة.

فما معنى قول النبي ﷺ: (مَنْ تَرَكَ صَلاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ)، فهل هذا يعني أنه حبط كُلُ عمله؟ أم هل يعني أنه حبط عنه ثواب صلاة العصر حتى لو قضاها؟ أم هل يعني أنه حبط عنه ثواب اليوم كله؟ لم يحدد النبي ﷺ، شيئا من ذلك وإنما قال كلاما مطلقا وزاجرا: (مَنْ تَرَكَ صَلاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ)، لذلك يُترك الحديثُ دون تقييدٍ لمعناه؛ ليكون زاجرا ورادعا لمن تهاون في صلاة العصر.

فليحذر أولئك الذين يأتون من أعمالهم بعد الظهر ثم ينامون عن صلاة العصر ولا يصلونها إلا بعد المغرب، فليحذروا من حبوط أعمالهم والعياذ بالله.

الخلاصة التي ينبغي أن نخرج بها من هذه الكلمات: أن نتأدب عند سماع أحاديث النبي ﷺ، وأن نغض أصواتنا ولا نرفعها عند سماع أحاديث النبي ﷺ، ولا شك أن هذا من تعظيم النبي ﷺ، ومن فعل ذلك لن يجرأ على التقدم على قول الله وقول رسوله ﷺ، وأن نبادر إلى أداء صلاة العصر قبل خروج وقتها.

(٦) المنُّ على الله -عز وجل- وعلى الناس

إن أكثر ما يخافه التجار ورجال الأعمال هو خسارتهم وذهاب رؤوس أموالهم في أي صفقة غير مربحة، فما شعور ذلك التاجر وما قدر حسرته إذا قيل له أن جميع أموالك التي جمعتها طوال حياتك قد ذهبت أدراج الرياح لأنك وضعتها في شركات وهمية؟! هذا ما سيواجهه بعض المسلمين يوم القيامة عندما تتلاشى ليست أموالهم وإنما حسناتهم كلها أو جزء منها بسبب ارتكابهم لبعض الذنوب التي تحبط الحسنات.

ومن محبطات الأعمال والحسنات: المن في العطية، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، ومعنى بطلانها أي: ذهاب أجره كله بالمن والأذى، وشبهه الله -عز وجل- بحجر أملس عليه تراب فأصابه مطر شديد فزاح عنه التراب ورجع الحجر أملسا لا يوجد عليه شيء من

التراب، فهكذا المنان في عطائه لن يجد له ثوابا في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له.

والمنُّ هو ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها، مثل أن يقول المرء لآخر: قد أحسنت إليك وأعطيتك وما قصرت معك، أو يتحدث مع الناس بما أعطى لفلان حتى يبلغ ذلك المُعطى فيؤذيه. قال الهيثمي: المن هو أن يرى أن لنفسه مزية على المتصدق عليه بإحسانه إليه، ولذلك لا ينبغي أن يَطلب منه دعاء ولا يطمع فيه؛ لأنه ربما كان في مقابلة إحسانه فيسقط أجره اهـ، ومن ذلك ندرك سر حرص عائشة رضي الله عنها إذا تصدقت على فقير فدعا لها أنها كانت تدعو له حتى يبقى لها ثواب الصدقة. فقد كَانَتْ رضي الله عنها إِذَا أَرْسَلَتْ إِلَى قَوْمٍ بِهَدِيَّةٍ تَقُولُ لِلرَّسُولِ: اسْمَعْ مَا دَعَوْا بِهِ لَنَا؛ حَتَّى نَدْعُوَ لَهُمْ بِمِثْلِ مَا دَعَوْا وَيَبْقَى أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ.

فالمنُّ خُلقٌ لئيم، وشعورٌ بالعلو، لا يقدم عليه إلا من بهم مرض الاستعلاء على الآخرين وحب إذلالهم أو لفت أنظار الناس إليهم، فالإسلام عندما أمر بالصدقة والإحسان إلى الناس

وقضاء حوائجهم ما أراد مجرد سد الخلة وملء البطن، وإنما أراده تهذيبا وتطهيرا لنفس المعطي، وتوثيق صلته بأخيه الفقير في الله، وتعريفه بنعمة الله عليه وتزكيةِ لنفسه من الكبر. والمنُّ يَذهبُ بهذا كله ويحوله إلى أذى، ويمزق أواصر هذه الأخوة في المجتمع ويثير العداوة والأحقاد؛ ولذلك قال جل وعلا: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾.

والمن بالعطية له صور عديدة يتداولها بعض الناس في أحاديثهم وأفعالهم دون أن يشعروا فيبطل معروفهم، فهناك صنف من الناس يحسن إلى غيره إذا علم أن المقابل سيمدحه ويثني عليه، ولكن إذا لم يجد ذلك التكريم والثناء، أو حَدَثَ بينه وبين ذلك الرجل مشكلة، ذكّره بالمعروف الذي أسداه له، ومنَّ عليه بأفضاله إما سرا أو علانية أمام الملأ.

سمع ابن سيرين رجلا يقول لآخر: أحسنت إليك وفعلت وفعلت، فقال له ابن سيرين: أسكت فلا خير في المعروف إذا أحصي.

وبعض الناس قد يمنُّ على أنسابه وأهل زوجته، فيحدث زوجته بأنه أعطى أهلها وما زال

يفعل ذلك، وأنه ذو فضل عليهم، ولولاه ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه، وأنه هو الذي وظُّفَ أولادهم، ونحو ذلك من كلمات تبطل ثواب كلَ ما عمله نحوهم.

والبعض قد يمن على زميل له فيقول: أنا قد توسطت لك أو خدمتك وأنت لم تفعل ذلك، أو يقول: إن فلان ما يستاهل، فالمعروف عليه ضائع، فقد دعوته في المناسبة الفلانية وهو لم يدعني في أي مناسبة، والبعض حينما يطلب منك مساعدة فلم تفعلها، ذكَّركَ بحسناته عليك، وأنه أقرضك من ماله في اليوم الفلاني، وقدم لك المساعدة الفلانية، فكأنه لم يفعل ذلك لوجه الله عز وجل وإنما ليجعل ذلك رصيدا له عليك يستوفيه وقت الحاجة.

فكل هذه الأمثلة صور للمن في العطية يحبط ثوابها، فالمن كبيرة من كبائر الذنوب، فقد روى أبو ذر الغفاري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: الْمَنَّانُ الَّذِي لا يُعْطِي شَيْئًا إِلاَّ مَنَّهُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ) رواه الإمام مسلم.

وبلغ من بعض الناس في منَّهم: أنهم يمنون على الله –عز وجل– بصالح أعمالهم وأنهم أفضل من غيرهم، فترى البعض إذا نُهي عن معصية أو ذُكِّرَ بواجب فرط فيه قال: ماذا تريدون مني أكثر من ذلك؟ فأنا مصلي ومزكي ولا آكل الحرام ولا أؤذي غيري ولم آكل مال يتيم، وأنا خير من فلان وعلان، وبدأ يعدد صالح أعماله عليك، كأنه يمنُّ بها على الله –عز وجل–. وقد حصل مثل هذا لبعض الأعراب في زمن النبي ﷺ حينما جاء نفر من بني أسد بن خزيمة وقدموا المدينة في سنة جدبة، وأظهروا الشهادتين، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة، فجعلوا يمنون عليه ﷺ فأنزل الله تعالى عليه آخر سورة الحجرات ﴿قالت الأعراب آمنا﴾ والتي فيها قوله تعالى ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

فالمنّة مذمومة من الخَلقِ؛ لأن الله تعالى هو المنان جل وعلا، يمن على عباده بنعمه، فلا ينبغي أن نمن على الله –عز وجل–؛ لأنه هو المعطي والمنان جلا جلاله، بل نسأله بمنه وكرمه

أن يعطينا، لأن من أسماءه الحسنى: المنان: أي كثير العطاء، فقد روى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَالِسًا، يَعْنِي وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ، دَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَصْحَابِهِ: (تَدْرُونَ بِمَا دَعَا)؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى) رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان

ولقد أمرنا رسول الله ﷺ دبر كل صلاة أن نعترف بأن الله عز وجل هو صاحب المنّ والفضل علينا، فقد كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ﷺ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَلا نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ وَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ.

فالخلاصة التي ينبغي أن نخرج بها من هذه الكلمات: هو العلم بأن المنَّ بالصدقة والإحسان كبيرة من الكبائر يحبط الحسنات، ويستجلب غضب الله –عز وجل–، ويحرم العبد من نعمة النظر إلى الله –عز وجل– يوم القيامة، حيث روى عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال: (ثلاثةٌ لا ينظرُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ إليهم يومَ القيامةِ؛ العاقُّ لوالِدَيهِ، والمرأةُ المترجِّلةُ، والدَّيُّوثُ، وثلاثةٌ لا يدخُلونَ الجنَّةَ: العاقُّ لوالِدَيهِ، والمدمِنُ على الخمرِ، والمنَّانُ بما أعطى) رواه النسائي.

وروى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ (ثلاثةٌ لا يقبلُ اللهُ عزَّ وجلَّ منهم صرفًا ولا عدلاً : عاقٌّ ، ومنَّانٌ ، ومُكذِّبٌ بقدَرٍ) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة، ومعنى أن الله تعالى لا يقبل منه صرفا ولا عدلا؛ لأن عمله قد حبط.

وينبغي للمسلم أن لا يمنَّ بعمله على الله فَيَسْتَكْثِرُهُ ويؤل به الأمر إلى الكسل عن الاستزادة من العمل الصالح، وقد نهى الله –تبارك وتعالى– عن ذلك فقال: ﴿وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾، وجاء في

تفسير هذه الآية معنى آخر ذكره المفسرون، وهو: لا تعط عطاء تمن به على غيرك لتعطى أكثر منه.

احفظوا هذه الأدلة جيدا فكلها من الكتاب والسنة، ولتكن نبراسا لنا: لئلا تحبط أعمالنا ونحن لا نشعر، فمحبطات الأعمال خطيرة قد لا ينتبه لها كثير من الناس ولا يحذرون منها.

(٧) انتهاك حقوق الناس وظلمهم

ومن محبطات الأعمال والحسنات، ويقع فيها كثير من الناس: انتهاك حقوق الناس وإيذاؤهم وظلمهم، فمن فعل ذلك ولم يتب منها أخذ من حسناته يوم القيامة وأعطيت لخصومه، فالله -جل وعلا- قد يغفر الذنوب التي بين العبد وربه، أما ظلم العباد فيما بينهم فلا يتركه الله -عز وجل- حتى يقتص بعضهم من بعض، ويأخذ المظلوم حقه. فقد روى أبو هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (أَتَدْرُونَ ما الْمُفْلِسُ)؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: (إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى ما عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ) رواه مسلم.

فتأملوا كيف أن هذا العبد قد أتى بصلاة وزكاة وصيام، أي أدى أركان الإسلام، وجاء بحسنات كالجبال، يرى أنها ستنجيه، ولكنه جاء محملا بمظالم للعباد وحقوق لهم لم يؤدها في

الدنيا، وما علم ذلك المسكينُ أنه خاب من حمل ظُلما في ذلك اليوم العصيب، فأخذ أولئك الخصوم من حسناته حتى فنيت، فخف ميزانه، فطرح في النار.

لقد استهان ذلك العبد بحقوق العباد وظن أنها هينة، فلم يتب منها، وما علم أنها عند الله عظيمة.

روى عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الشيطان قد يئس أن تُعبد الأصنام في أرض العرب، ولكنه سيرضى منكم بدون ذلك؛ بالمحقرات وهي الموبقات يوم القيامة، اتقوا الظلم ما استطعتم، فإن العبد يجيء بالحسنات يوم القيامة يرى أنها ستنجيه، فما زال عبد يقول: يا رب ظلمني عبدك مظلمة، فيقول: امحوا من حسناته، وما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة من الذنوب، وإن مثل ذلك كَسَفْرٍ نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب، فتفرق القوم ليحتطبوا، فلم يلبثوا أن حطبوا، فأعظموا النار وطبخوا ما أرادوا، وكذلك الذنوب) رواه الحاكم.

لذلك من خاف أن تحبط عنه حسناته يوم القيامة، فليتحلل من حقوق العباد اليوم ولا يظلمهم، فقد روت عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَجُلاً قَعَدَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي مَمْلُوكِينَ يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي، وَأَشْتُمُهُمْ وَأَضْرِبُهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: (يُحْسَبُ ما خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَكَذَّبُوكَ وَعِقَابُكَ إِيَّاهُمْ، فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ؛ كَانَ كَفَافًا، لا لَكَ وَلا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ، كَانَ فَضْلاً لَكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمْ، اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ، قَالَ: فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَعَلَ يَبْكِي وَيَهْتِفُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَمَا تَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ؟ ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾) فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ما أَجِدُ لِي وَلِهَؤُلاءِ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ مُفَارَقَتِهِمْ، أُشْهِدُكُمْ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ، رواه الإمام أحمد والترمذي.

لذلك قال سفيان الثوري رحمه الله تعالى: إنك أن تلقى الله عز وجل بسبعين ذنب فيما بينك وبينه، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد اهـ.

ولنعلم بأن العملة التي سيتعامل فيها الخلق يوم القيامة لأخذ حقوقهم من بعضهم البعض ليست الريال ولا الدينار، وإنما هي الحسنات والسيئات، فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ: (مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ).

ولقد بلغ من تشديد النبي ﷺ في النهي عن إيذاء الناس، أنه هدد المجاهدين بنقص ثوابهم أو ببطلان جهادهم لو آذوا الناس في طرقهم ومنازلهم أثناء الجهاد، فعن معاذ بن أنس ﷺ قال: غزوت مع نبي الله ﷺ غزوة كذا وكذا، فضيق الناس المنازل وقطعوا الطريق، فبعث نبي الله ﷺ مناديا ينادي في الناس أن: (من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له) رواه أبو داود.

كما أخبر النبي ﷺ بأن من خلف غازيا في أهله يرعى شؤونهم فخان الأمانة وزنى بزوجة المجاهد، فإن المجاهد سيقف له يوم القيامة ليأخذ كل حسنات ذلك الخائن، فقد روى سليمان بن بريدة عن أبيه ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ فِي الْحُرْمَةِ كَأُمَّهَاتِهِمْ،

وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنْ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنْ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ [فَيَخُونُهُ فِيهِمْ] إِلاَّ نُصِبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: يَا فُلانُ هَذَا فُلانٌ فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ ما شِئْتَ)، ثُمَّ الْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: (مَا ظَنُّكُمْ؟ تُرَوْنَ يَدَعُ لَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْئًا)؟ رواه الإمام مسلم والترمذي والنسائي.

فهذه منزلة حقوق العباد عند الله –عز وجل–، لا يهملها، وإنما ينصف المظلوم حتى يأخذ حقَّه.

فاحذروا كل الحذر من الاعتداء على حقوق الناس وإيذائهم، وتحللوا من كل من بخستموه حقه، قبل ألاّ يكون درهم ولا دينار.

إن من الأمر المخيف والغريب يوم الحساب: أنك ستبخل أن تعطي أباك أو أمك أو حتى ولدك أية حسنة لتنقذهم مع حبك الشديد لهم، ولكن في المقابل ستجد نفسك مرغما على إعطاء حسنات كثيرة لشخص تكرهه لأنك اغتبته أو آذيته أو بخسته حقه ولم تستحله قبل الموت.

إن من المهم أن نجمع الحسنات الكثيرة بالصلاة والزكاة والصدقة وسائر الطاعات، ولكن الأهم من ذلك في كيفية المحافظة على هذه الحسنات لئلا تحبط أو تذهب بسبب ذنوب.

لقد دعا النبي ﷺ بالرحمة – ودعاءه مستجاب لا يرد – لمن تعجل في التحلل من أخيه كي لا تؤخذ منه حسناته يوم القيامة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا كَانَتْ لأَخِيهِ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ فِي عِرْضٍ أو مَالٍ، فَجَاءَهُ فَاسْتَحَلَّهُ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ وَلَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، حَمَّلُوا عَلَيْهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ) رواه الترمذي.

إن بعض الناس ليس لديهم توازن في الأمور، فتراهم يغلبون جانبا على جانب، فبعض الناس قد يحتج بحديث المفلس الذي ذكرناه، ويغلبه على حقوق الله –عز وجل–، فإذا نصحته بترك المعاصي، قال لك أهم شيء أن لا تظلم أحدا ولا تأكل حقوقه، وما علم هذا المسكين أن الذي يلقى الله –عز وجل– وهو محسن إلى الناس ومؤدي حقوقهم، ولكنه لم يصل ولم يزكي

وارتكب بعض كبائر الذنوب، لهو أشد من أولئك المفاليس الذين ذكروا في الحديث؛ لأن هذه الكبائر كفيلة بأن تردي صاحبها في النار، إذا ليس فيها قصاص مع أحد من البشر، فكونوا مع أوامر الله كلها فلا تنتهكوها، واتقوا الله حيثما كنتم، وأتبعوا الحسنة السيئة تمحها، وخالقوا الناس بخلق حسن، هذه هي وصية رسول الله ﷺ الجامعة المانعة.

(٨) الكهانة والسحر

ومن محبطات الأعمال والحسنات: الذهابُ إلى الكهنة والعرافين والسحرة والاستعانةُ بهم.

ويقصد بالعراف أنه الَّذِي يَتَعَاطَى مَعْرِفَة مَكَان الْمَسْرُوق، وَمَكَان الضَّالَّة، وَنَحْوهمَا. أي أنه يدَّعي معرفة الأمور، وما يقع في المستقبل، وما يكون من أمور غائبة، ونحو ذلك، بأيّ طريقة كانت، سواء كان ذلك بالنظر في النجوم ويقال له "المنجِّم"، أم بالخط في الأرض والطرْق في الحصى ويقال له "الرمَّال".

ويقصد بالكاهن أنه الذي يتصل بالشياطين ليخدموه بعد أن يكفر بالله عز وجل، يخبرونه بما استرقوه من السمع، ثم هو يضيف إليه ما يضيف من الأخبار الكاذبة ليأكل أموال الناس بالباطل.

والعرّاف شامل لكل من ادعى علم الغيب؛ من الكاهن والمنجم والرّمال ونحوهم، ممن يقرأ في الكف والفنجان وغير ذلك، ممن يتكلم في معرفة الأمور الغيبية بطرق شيطانية، فإن هؤلاء

يعبدون الشياطين، ويتقربون إليهم ليحققوا مقصدهم، فهم في الحقيقة خُدام للجن وأولياءُ لهم، فالعرّاف والكاهن حين يلجأ إلى الجن، يطلب الجني من الكاهن السجود والذبح له والكفر بالله –عز وجل– وتدنيس المصحف ووضعه في القاذورات، فإن رأى منه استجابة أعطاه ما طلب، باسترق بعض المعلومات من الملائكة فيزيد عليها الكاهن أكاذيب كثيرة.

فعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ: (لَيْسُوا بِشَيْءٍ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ: فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْجِنِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ) رواه البخاري.

ولقد نهانا النبي ﷺ عن الذهاب إلى الكهان ابتداء، حيث جاء عن مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ ﷺ أنه قال للنبي ﷺ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ قَالَ: (فَلَا تَأْتِهِمْ) رواه مسلم.

ومن خالف أمر النبي ﷺ فأتى عرافا، حبط عنه ثوابَ صلاةِ أربعين يوما، لما روته صَفِيَّةُ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) رواه مسلم

فبمجرد سؤال العراف سواء بمقابلته أو الاتصال به عبر الهاتف يحبط عنك ثواب صلاة أربعين يوما، فما أعظمها من خسارة وما أشدها من عقوبة.

ومن صدَّق كلام العراف فقد وقع في الكفر والعياذ بالله، لما رواه أبو هُرَيْرَةَ وَالْحَسَنِ رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ) رواه أحمد.

قال العلماء: فإن كان مستحلا لذلك وقع في الكفر الصريح، وأما إن كان غير مؤمن بكلامه فهو كفر دون كفر.

ويكثر ذهاب الناس إلى السحرة والعرافين حينما يمرضون ولا يجدون علاجا عند الأطباء،

فيذهبون إلى بعض الرقاة ليقرؤا عليهم شيئا من القرآن، فيتفاجئون أن ذلك الراقي غير صادق وإنه يستعين بالجن لعلاج مرضاه، وترى المريض يسكت عن ذلك الساحر ولا يبلغ عنه الجهات المختصة طالما استفاد منه في كشف ضره، وما علم هذا المسكين أن ثواب صلاة أربعين يوما قد حبط عنه، وأما إذا صدقه فقد وقع في الكفر، لذلك يجب عدم الاغترار ببعض الرقاة الذين يتسترون بستار التدين والمشيخة، ولكنهم في الحقيقة سحرة مشعوذون.

ويمكن لكل شخص معرفة الساحر والعراف بعدة أمور أهمها:

إذا سألك عن اسمك واسم أمك فاعلم أنه يستعين بالجن، وإذا طلب منك أثرا منك كقطعة من ملابسك فاعلم أنه يستعين بالجن، وإذا طلب منك أن تذبح حيوانا بصفات معينة أو تلطيخ بدنك بدم ذلك الحيوان، فاعلم أنه يستعين بالجن، وإذا أعطاك حجامة فيها كتابة طلاسم أو حروف مقطعة وجداول حسابية وكلام غير مفهوم مع بعض الآيات، فاعلم أنه يستعين بالجن، وإذا رأيته يتمتم أثناء قراءة القرآن بكلام غير مفهوم فاعلم أنه يستغيث بالجني، وإذا أعطاك أشياء تدفنها في

الأرض أو تخفيها في المنزل فاعلم أنه يستعين بالجن، وإذا رأيته يخبرك عن معلومات تخصك لا يعلمها غيرك، فاعلم أنه يستعين بالجن.

فكل هذه الأمور تدل على أن هذا الراقي إنما هو ساحر، يتستر بقراءة القرآن أمام الناس ولكنه في الحقيقة يستعين بالجن لعلاج مرضاه.

لقد كثر لجوء الناس إلى السحرة والمنجمين وسهل الوصول إليهم بعد بفتح قنوات فضائية متخصصة بالشعوذة والسحر، مما أوقع كثيرا من الناس في كبائر الذنوب ومحبطات الأعمال.

فقد روى عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطير لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ) رواه الطبراني؛ ولا يقول النبي ﷺ: (ليس منا) إلا في عظائم الإثم وكبائر الذنوب.

فالذهاب إلى العرافين والمنجمين، وتصديقهم، والعمل بأقوالهم، هو قدح في توحيد الألوهية؛ وإذا ذهب توحيد العبد فماذا يبقى له من دينه؟

لذلك من خاف أن تحبط عنه حسناته يوم القيامة، فليتجنب الذهاب إلى العرافين أو الاتصال بهم، أو تصديق الأبراج والحظ المبثوثة في بعض المجلات والانترنت، فإنها كلها من الكهانة والتنجيم.

وإنك ترى بعض المثقفين والصحفيين يذهبون إلى بعض العرافين يسألونهم عن المستقبل، وما سيجري من أحداث وحروب، ومن الذي سينتصر فيها، أو يطلبوا منهم تحديد من سينتصر في المباراة الرياضية الفلانية، فكل ذلك استعانة بالكهان ويحبط الأعمال، فقد جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ موقوفا قال: من أتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا يؤمن بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ رواه أبو يعلى والبيهقي، وروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من أتى حائضا، أو امرأة في دبرها، أو كاهنا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد) رواه أحمد والترمذي.

وحينما أراد علي بن أبي طالب ﷺ الخروج لحرب الخوارج، اعترضه منجِّم فقال: يا أمير المؤمنين، لا تخرج. فقال: لأى شيء؟ فقال: إن القمر في العقرب؛ فإن خرجت أُصِبت، وهُزم

عسكرك. فقال: ما كان لرسول الله ﷺ ولا لأبي بكر ولا لعمر منجم، بل أخرُج ثقة بالله، وتوكلاً عليه، وتكذيباً لقولك. فما سافر علي بعد وفاة رسول الله ﷺ سفرةً أبركَ منها، فقد قتَل الخوارج، وكفى المسلمين شرهم، ورجع مؤيَّداً منصوراً فائزاً ببشارة النبي لمن قتلهم؛ في قوله ﷺ: (طوبى لمن قتلهم)، فكان هذا الظفر ببركة مخالفة ذلك المنجم وتكذيبِه، والثقةِ بالله رب النجوم.

(٩) شرب الخمر

لقد جاءت الشريعة الإسلامية تُعبّد الخلق لله –عز وجل–، وتحررهم من عبادة الهوى والشيطان، ولقد أحلت هذه الشريعة الطيبات وحرمت الخبائث، والذي أحلته أكثر بكثير من الذي حرمته، إلا أن بعض الناس يأبون هذا التحريم ويصرون على الولوج في الخبائث وترك الطيبات.

ومن أهم الخبائث التي حرمتها الشريعة ولعنت كل من يتعاطاها أو يشارك فيها: شرب الخمور، فقد لعن النبي ﷺ عشرة: عاصر الخمر، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمولة إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشتري لها، والمشتراة له.

ويُعدّ شرب الخمر من الكبائر ومما يحبط الأعمال حيث روى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ لَمْ يَقْبَلْ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ

صَبَاحًا، فَإِنْ تَابَ لَمْ يَتُبْ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَقَاهُ مِنْ نَهْرِ الْخَبَالِ)، قِيلَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمَا نَهْرُ الْخَبَالِ؟ قَالَ نَهْرٌ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ) رواه أحمد والترمذي.

فمن شرب الخمر حبط من عمله ثواب صلاة أربعين يوما.

إن شرب الخمور ظاهرة لا تزال تنتشر، بل وتتزايد في مجتمعنا!

فلمن تسوق كل هذه الخمور؟ ومن الذي يشربها؟ ألا يدل ذلك على أنه لا يزال بعض المسلمين يشربون أم الخبائث؟

أنا لن أتكلم عن الخطر الصحي للخمور، فهذا أمر هين ويعرفه معظم الناس، ألا ترون أن المدخنين يعرفون خطر الدخان ومع ذلك تراهم مصرين على شربه؟ وإنما أريد تسليط الضوء على خطره الاجتماعي، فكثير من حالات الطلاق وتشتت الأولاد هو بسبب إدمان بعض الأزواج، فالذي يشرب الخمر ويغيبُ عقله يصبح كالبهيمة، بل البهيمة أعقل منه، لأنه قد يرتكب من الموبقات ما تقشعر من الأبدان، فقد يفعل السكران الفاحشة بابنته، وقد يتسبب في قتل أحد، لأنه

أصبح بلا عقل، ألم تقرؤوا قصة الرجل الذي من بني إسرائيل الذي خُيّر بين شرب الخمر أو قتل طفل أو فعل الفاحشة؟ فاستهان بالخمر وظن أنها أخفهم ضررا، فلما شرب الخمر وغاب وعيه قتل الطفل وفعل الفاحشة، فالخمر هي أم الخبائث ومفتاح كل شر.

روى ابن حبان والنسائي عن عثمان ﷺ أنه وقف خطيبا فقال: " اجتَنِبوا أمَّ الخبائثِ فإنَّه كان رجُلٌ ممَّن قبْلَكم يتعبَّدُ ويعتزلُ النَّاسَ فعلِقتْه امرأةٌ فأرسَلتْ إليه خادمًا فقالت: إنَّا ندعوك لشَهادةٍ فدخَل فطفِقتْ كلَّما يدخُلُ بابًا أغلَقتْه دونَه حتَّى أفضى إلى امرأةٍ وضيئةٍ جالسةٍ وعندَها غلامٌ وباطيَةٌ فيها خمرٌ فقالت: إنَّا لم نَدْعُك لشَهادةٍ ولكِنْ دعَوْتُك لتقتُلَ هذا الغلامَ أو تقَعَ عليَّ أو تشرَبَ كأسًا مِن هذا الخمرِ فإنْ أبَيْتَ صِحْتُ بك وفضَحْتُك قال: فلمَّا رأى أنَّه لا بدَّ له مِن ذلك قال: اسقيني كأسًا مِن هذا الخمرِ فسقَتْه كأسًا مِن الخمرِ فقال: زيديني فلم يزَلْ حتَّى وقَع عليها وقتَل النَّفسَ فاجتَنِبوا الخمرَ فإنَّه واللهِ لا يجتمِعُ الإيمانُ وإدمانُ الخمرِ في صدرِ رجُلٍ أبدًا لَيوشِكَنَّ أحدُهما يُخرِجُ صاحبَه.

ما أسباب انتشار الخمور وكثرة تهريبها وتصنيعها في مجتمعنا؟

هل هناك تساهل من الجهات الحكومية؟ كلا، وإنما هناك ضعف إيمان وعدم خوف من الله -عز وجل-، فالرادع الحكومي لن يحل المشكلة وإنما الذي سيحلها هو التربية الإيمانية والخوف من الله -عز وجل-.

فمنذ قرابة المائة عام منعت حكومة أمريكا الخمر، وطاردتها في بلادها، واستعملت جميع وسائل المدنية الحاضرة كالمجلات والجرائد، والمحاضرات، والصور والسينما، لتهجين شربها، وبيان مضارها ومفاسدها، ويقدِّرون ما أنفقته الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ٦٠ مليون دولار، وأن ما نشرته من الكتب والنشرات يشتمل على ١٠ بلايين صفحة، وقد أعدم فيها ٣٠٠ نفس، وسجنت حوالي نصف مليون أمريكي، وبلغت الغرامات عشرات الملايين، وصادرت من الأملاك ما يبلغ قيمته مئات الملايين، ولكن كل ذلك لم يزد الشعب الأمريكي إلا غراما بالخمر، وعناداً في تعاطيها، حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣م إلى سحب القانون، وإباحة

الخمر، في مملكتها إباحة مطلقة.

أما المسلمون فحينما سمعوا قوله تعالى: في سورة المائدة: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ فإنهم قالوا: "انتهينا ربنا، وحينما نادى منادي رسول الله ﷺ في الناس أن الخمر حرمت، كانت سرعة الاستجابة عجيبة، فمن كان في يده كأس حطمها، ومن كان في فمه جرعة مجها، وشقت زقاق الخمر، وكسرت دِنانه، حتى سالت بعض طرق المدينة بالخمور.

فهل يقول المدمنون على الخمر انتهينا ربنا؟

ومن شرب الخمر حبط عنه ثواب صلاة أربعين يوما، وليس ذلك فحسب، فإن مات ولم يتب منها حَرُمت عليه في الآخرة، فقد روى ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ) رواه مسلم، وفي رواية عند البخاري أن

النبي ﷺ قال: (مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ)

قال الإمام النووي –رحمه الله تعالى–: مَعْنَاهُ : أَنَّهُ يُحْرَم شُرْبهَا فِي الْجَنَّة وَإِنْ دَخَلَهَا ، فَإِنَّهَا مِنْ فَاخِر شَرَاب الْجَنَّة فَيُمْنَعهَا هَذَا الْعَاصِي بِشُرْبِهَا فِي الدُّنْيَا، قِيلَ: إِنَّهُ يَنْسَى شَهْوَتهَا لِأَنَّ الْجَنَّة فِيهَا كُلّ مَا يَشْتَهِي، وَقِيلَ: لَا يَشْتَهِيهَا وَإِنْ ذَكَرَهَا، وَيَكُون هَذَا نَقْص نَعِيم فِي حَقّه تَمْيِيزًا بَيْنه وَبَيْن تَارِك شُرْبهَا اهـ.

فتأمل كيف أن الله –عز وجل– حرّم عليك شرابا واحدا وأباح مئات الأصناف من الأشربة والعصائر، فلماذا تختار الحرام وتترك الحلال؟ هل تريد أن تقع كما وقع آدم عليه السلام في المعصية، حينما أباح له جنة فيها ملايين الأشجار وحرم عليه شجرة واحدة، ومع ذلك استطاع إبليس إقناعه بالاقتراب من تلك الشجرة والأكل منها؟

فمسكين ثم مسكين من شرب الخمر ومات ولم يتب منها لأنها ستحرم عليه في الجنة بل سيُبعث كعابد وثن ويشرب من عرق أهل النار، حيث روى ابنُ عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما– أن

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: (مُدْمِنُ الْخَمْرِ إِنْ مَاتَ لَقِيَ اللَّهَ كَعَابِدِ وَثَنٍ) رواه أحمد.

ويقول ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم: (كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا، لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ) قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: (عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ)

ويقول أبو الدرداء ﷺ أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ: (لا تَشْرَبْ الْخَمْرَ فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ) رواه ابن ماجه.

(١٠) أكل الربا

من محبطات الأعمال الأخرى: التعامل بالربا، فقد روى أبو إِسْحَاق عَنْ جَدَّته الْعَالِيَة قالت: دخلت على عائشة في نسوة فقالت: ما حاجتكن؟ فكان أول من سألها أُمّ مَحَبَّة، فقالت: يا أم المؤمنين هل تعرفين زيد بن أرقم؟ قالت: نعم، قالت: فإني بعته جارية لي بثمانمئة درهم إلى العطاء، وأنه أراد أن يبيعها فابتعتها بستمئة درهم نقدا، فأقبلت عليها وهي غَضْبَى، فقالت: أبلغي زيدا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب، وَأَفْحَمَتْ صاحبتنا فلم تتكلم طويلا، ثم إنه سُهِّلَ عنها، فقالت: يا أم المؤمنين أرأيت إن لم آخذ إلا رأس مالي؟ فقالت: ﴿فمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾. فالربا من مبطلات الأعمال ومن الكبائر، هكذا فهمت أمنا عائشة رضي الله عنها.

وفي القرآن العظيم آيات رهيبة فيها تبيان للخطر العظيم، وعقوبة المرابي في الدنيا والآخرة، يقول الله عز وجل في سورة البقرة: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، ما معنى قول الله عز وجل: لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ؟.

قال المفسرون، وعلى رأسهم ابن كثير –رحمه الله–: أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبّط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً، قال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يخنق، هذا شعار لهم يُعرفون به يوم القيامة من دون سائر الخلق، تُعرف هذه الطبقة التي تأكل الربا أنهم يقومون من قبورهم يتخبطون كالمصروع الذي صرعه الشيطان ومسه، ثم يكون العذاب من وراء ذلك.

الناس يوم القيامة يخرجون من الأجداث سراعاً، يخرجون من القبور مسرعين، وآكل الربا يحاول أن يسرع في خروجه ومشيه، ولكن الربا الذي أثقل بطنه وزاد فيها، وجعله أعظم من المرأة الحبلى

يريد الإسراع فيسقط، فيصير مثل المتخبط من الجنون: لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، ثم قال الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ، فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ، وتمتثلوا لأمر الله –عز وجل– فماذا سيحدث؟ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ، هل هي حرب قتل وتدمير؟ هل هي حرب تجويع؟ هل هي حرب كوارث وزلازل؟ هل هي حرب أمراض وأوبئة؟ لم يذكر الله –عز وجل– نوع الحرب، فإذن هي عامة تشمل جميع أنواع الحرب التي يحارب الله بها العصاة، وأهل الربا، فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ،

وهذه الآية هي التي استدل بها الإمام مالك –رحمه الله– على أنها أعظم جريمة يعاقب بها الإنسان على ما يدخل بطنه، فإن الذي يدخل البطن من المحرمات أمور كثيرة، فمنها الخمر، ومنها الميسر، ومنها الرشوة، ومنها المقامرة، ومنها الربا.

جاء رجل إلى مالك بن أنس –رحمه الله– فقال: يا أبا عبد الله، إني رأيت رجلاً سكراناً يتعاقر، فقلت –لما رأيت المنظر، وتأثرت به–: امرأتي طالق –إن كان يدخل جوف ابن آدم أشد من الخمر –، يعتقد الرجل أن أشد ما يدخل جوف ابن آدم هو الخمر، – فقال له الإمام مالك: ارجع حتى أنظر في مسألتك، فأتاه من الغد، فقال له: ارجع حتى أنظر في مسألتك، فأتاه من الغد، فقال له: امرأتك طالق، إني تصفحت كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلم أر شيئاً أشد من الربا؛ لأن الله أذن فيه بالحرب، يعني لم يأذن الله لشيء يدخل جوف الإنسان محرم بالحرب إلا بالربا: فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ).

لقد جاءت عدة أحاديث تُحذِّرُ من الربا وتبين عواقبه قال ﷺ محذراً البلاد بالخراب إذا عم فيها الربا، يقول ﷺ: (إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله) [رواه الحاكم (٢٢٦١)]، والقرية تشمل البلدة كبيرة أم صغيرة، وقال ﷺ في الحديث الصحيح الآخر: (ما ظهر في القوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله)رواه أحمد، عقاب متنوع يأتي من كل جهة، يدع

الحليم حيراناً، وكل من يتعامل بالربا فهو ملعون، قال ﷺ: (لعن الله الربا، وآكله، وموكله، وكاتبه، وشاهده، وهم يعلمون)[رواه الطبراني] وقال: (هم سواء)[رواه مسلم] كلهم فيه سواء، (وهم يعلمون)، إذا علموا ذلك، وقال عليه الصلاة والسلام حديثا يرد على شبهة، بعض الناس الذين يظنون أن الملعون هو الذي يأخذ الربا، لكن الذي يعطي الربا مسكين لأنه مضطر، قال: (الآخذ والمعطي فيه سواء) رواه مسلم.

والربا أعظم عند الله من الزنا، بينما الناس يظنون أنه العكس، قال ﷺ (درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ست وثلاثين زنية)، وقال ﷺ (الربا ثلاثة وسبعون باباً؛ أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه)، ولقد ذكر النبي ﷺ أمر الربا في حجة الوداع أمام عشرات الآلاف من أصحابه كي ينقلوا هذا التحذير للأمة من بعده، حيث قال: (ألا وإن كل رباً في الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلَمون، غير ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله) رواه الترمذي.

فينبغي أن يكون موقف المسلم تجاه الربا موقف الممانعة والتحذير لنفسه ولغيره من التورط في مثل الإثم العظيم.

إن كثيراً من الإحساسات قد تبلدت، الناس يدخلون الأماكن التي يُتعامل فيها بالربا وهم مطمئنون، مسرورون غاية السرور لا يحسون بشيء، ولا يحسون أن غضب الله ونقمته نازلة على الأقوام الذين يتعاملون بالربا، ولذلك من أهداف الشريعة تحريم الربا، ووضعه، وإبطاله، وسد الطرق الموصلة إليه، وردع كل من يساهم في الوقوع في المعاملات الربوية، لا يجوز للمسلم أن يساعد مرابياً، لا أن يساهم معه، ولا أن يبني له مكاناً يتعامل فيه بالربا، ولا أن يصونه، ولا أن يعمل فيه، ولا أن يؤجر له مكاناً، أو يستأجر منه. وقد قال ﷺ عن حال الناس في آخر الزمان (ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما أخذ المال، أمن حلال أم من حرام)، فلا ينبغي أن يصل حالنا إلى هذا الحال.

وهناك بعض الذنوب الخفية التي تعد من الربا لا يعلمهن كثير من الناس والتي أهمها:

(أ) قبول هدية على شفاعة

فعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: (من شفع لأخيه بشفاعة؛ فأهدى له هدية عليها فقبلها؛ فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا)[١] رواه أحمد وأبو داود.

---

(١) وقد أخذ بعض العلماء بظاهر هذا الحديث ، فمنعوا أخذ الهدية على الشفاعة ، سواء كانت الشفاعة واجبة أو غير واجبة ، وذهب آخرون إلى جواز أخذ الهدية على الشفاعة إذا كانت غير واجبة ، وحملوا هذا الحديث على : الشفاعة الواجبة – كالشفاعة عند السلطان في إنقاذ مظلوم من يد ظالم – ، أو الشفاعة المحرَّمة – كالشفاعة عند السلطان في تولية ظالم على الرَّعيَّة –؛ لأنَّ الشفاعة إذا كانت في واجب فهي واجبة ، فأخذ الهديَّة في مقابلها محرَّم .

وإذا كانت في أمر محرَّم ؛ فأخذ الهديَّة في مقابلها محرَّم .

أما إذا كانت الشفاعة في أمر مباح ؛ فأخذ الهديَّة عليها مباح ؛ قالوا : لأنها مكافأة على إحسانٍ غير واجب. انظر: "سبل السلام" (٢/ ٥٨).

(ب) ومن الذنوب **الخفية التي تعد من الربا:** الاستطالة في عرض المسلم

فعن سعيد بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن من أربى الربا؛ الاستطالة في عرض المسلم بغير حق) رواه أحمد وأبو داود، ومعنى الاستطالة في عرض المسلم: أي إطالة اللسان في عرض المسلم باحتقاره أو الوقيعة فيه بسب أو قذف أو نحوه.

(١١) قطيعة الرحم

فِي زَمَنِ ثَوْرَةِ الاتِّصَالِ وَالمُوَاصَلاَتِ الَّتِي قَرَّبَتِ البَعِيدَ، وَأَلْغَتِ المَسَافَاتِ بَيْنَ النَّاسِ، صَارَ الإِنْسَانُ يُخَاطِبُ مَنْ يَشَاءُ، فِي أَيِّ وَقْتٍ يَشَاءُ، فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنَ الأَرْضِ، يُخَاطِبُهُ وَجْهًا لِوَجْهٍ صَوْتًا وَصُورَةً، وَكَأَنَّهُ يَجْلِسُ بِجِوَارِهِ، فزادت علاقة الإنسان بالآخرين، وزادت اتصالاته بهم، إلا أن الملاحظ أنه كُلَّمَا زَادَتْ وَسَائِلُ الاتِّصَالِ وَالوِصَالِ بين الناس بَعُدَتِ المَسَافَةُ بَيْنَ الأَرْحَامِ وَالقَرَابَاتِ، وَلَقَدْ كَانَ النَّاسُ مِنْ قَبْلُ يَنْتَقِدُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنْ تَأَخَّرُوا عَنْ صِلَةِ قَرِيبٍ لهم جُمُعَةً أَوْ جُمُعَتَيْنِ، ثُمَّ تَسَاهَلُوا فِي الشَّهْرِ وَالشَّهْرَيْنِ، وَبَلَغُوا الآنَ حَوْلًا أَوْ حَوْلَيْنِ، لاَ يَرَى القَرِيبَ قَرِيبَهُ إِلاَّ إِنْ جَمَعَهُمْ عِيدٌ أَوْ عُرْسٌ أَوْ جِنَازَةٌ رغم توافر الأجهزة الذكية التي رفعت الحرج وأدت فرض الكفاية.

فمن محبطات الأعمال والحسنات: قطيعة الرحم، فمن قطعها لا يقبل له عمل، ولا يستفيد من حسناته، فقد روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال: (إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ) رواه أحمد وحسنه الألباني.

ألا تعلموا أن أبواب السماء تفتح كل أثنين وخميس، وتعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، فيغفر لجميع المسلمين إلا للمتشاحنين؟ فكيف إذا وقعت هذه الشحناء بين الأرحام؟ حيث روى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا) رواه مسلم.

ولنعلم بأن أبواب السماء تغلق دون عمل قاطع رحم، ويشهد لذلك ما رواه الأعمش –رحمه الله تعالى– قال: كان عبد الله بن مسعود ﷺ جالسا بعد الصبح في حلقة فقال: أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا، وإن أبواب السماء مرتجة مغلقة دون قاطع رحم، صحح هذه الرواية الهيتمي في كتاب الزواجر.

فكيف يرجو خيرا من لا يُقبل له عمل ولا تُفتح له أبواب السماء؟ وإذا أغلقت أبواب السماء عنك فأي باب ستقرع؟ فهل عرفتم خطر قطيعة الرحم؟ فلنبادر إلى صلة أرحامنا.

لقد أوصى الله –عز وجل– بصلة الرحم في العديد من الآيات حيث قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى ﴾ وقال تعالى ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وقال تعالى ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

ولصلة الرحم ثواب عظيم ومكانةٌ عند الله –عز وجل–، فمن عِظم حقها عند الله –عز وجل– أنه خاطبها ووعد بوصل من وصلها وقطع من قطعها، قال ﷺ (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ، قَامَتْ الرَّحِمُ فَقَالَ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ، فَقَالَ: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكِ لَكِ..) متفق عليه.

فمن أراد ثراء في المال، وطولا في العمر، فعليه بصلة رحمه، لما رواه أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) متفق عليه.

ومن جانب آخر، فقد هدد جل وعلا أولئك القاطعين لأرحامهم، بأن لعنته ستلاحقهم حيثما كانوا، فقال تعالى ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾.

ومن بخل عن رحمه المحتاج، عُذّب في أرض المحشر، لما رواه جرير بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: (مَا مِنْ ذِي رَحِمٍ يَأْتِي رَحِمَهُ، فَيَسْأَلُهُ فَضْلاً أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ فَيَبْخَلُ عَلَيْهِ إِلاَّ أُخْرِجَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ جَهَنَّمَ حَيَّةٌ يُقَالُ لَهَا شُجَاعٌ يَتَلَمَّظُ فَيُطَوَّقُ بِهِ) رواه الطبراني.

ولذلك حذر ﷺ بأن قاطع الرحم لا يدخل الجنة – أي يحتمل أنه لا يدخلها مع أول الداخلين – فإما يؤخر أو يُعذب في النار ثم يدخل، حيث روى جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقول: (لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ) متفق عليه.

والخطورة في أمر الرحم أيضا أنها مع الأمانة من دون سائر الأعمال، سيقفان عند أخطر كرب على المسلمين وهو الصراط، فلماذا ستقف الرحم في هذا المكان؟ وماذا تريد يا ترى؟ لعل

وقوفها هناك لتحاج عن المحق، وتشهد على المبطل لتسقطه من الصراط.

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال (...فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ، فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيْ الصِّرَاطِ، يَمِينًا وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ ....) رواه مسلم.

ولذلك من أراد المرور على الصراط بسلام فليصل رحمه، لما رواه عبد الله بن سلام ﷺ أن النبي ﷺ قال: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ) رواه أحمد والترمذي.

وتأملوا في عبارة النبي ﷺ حينما قال: (تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ) أن من عمل بهذه الأعمال الصالحة، سيمر على جسر جهنم بسلام دون أن تمسه النار أو تخدشه الكلاليب فيدخل الجنة بسلام. فليحذر كل قاطع رحم من توقف عمله أو حبوطه؛ لأن عمله لا يقبل كلما عُرض يوم الخميس ليلة الجمعة.

وبعد أن عرفنا أهمية صلة الرحم وخطورة قطعها، فقد يسأل سائل: من هم الأرحام الواجب صلتهم؟

فالأرحام ليس كما يظن بعض الناس أنهم أهل زوجتك، الأرحام جميع أقاربك من جهة الأب أو الأم، هؤلاء هم الذين يسمون الأقارب، فالآباء والأمهات والأجداد والجدات أرحام، والأولاد وأولادهم من ذكور وإناث وأولاد البنات كلهم أرحام، وهكذا الإخوة والأخوات وأولادهم أرحام، وهكذا الأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولادهم أرحام، داخلون كلهم في قوله تعالى: (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض)، أما أقارب الزوجة فهم أصهار وليسوا بأرحام، وكذلك أقارب الزوج بالنسبة للمرأة أصهار وليسوا بأرحام، وإنما الأرحام أقاربك من جهة أبيك ومن جهة أمك، وهكذا أقارب المرأة من جهة أبيها ومن جهة أمها، هؤلاء هم الأرحام، أما أقارب زوجتك فهم أصهارٌ وليسوا بأرحام، وهكذا أقارب الزوج بالنسبة للزوجة أصهار، وليسوا بأرحام والإحسان إليهم والصلة بهم أمرٌ مطلوب، ولكنهم ليسوا كالأرحام، فلو لم تزرهم لا تعتبر قاطعا لرحمك. بينما بر بعض الناس

أصهارهم وعقوا أرحامهم وقالوا: كن نسيبا ولا تكن ابن عم.

ولما سئل الشيخ ابن باز –رحمه الله تعالى– عن الأرحام الواجب صلتهم قال: الرحم كل القرابات رحم، لكن أقربهم في الأصول والفروع الآباء والأمهات، والأجداد والجدات، والأولاد وأولادهم هؤلاء أقارب الرحم، ثم الأخوة، ثم بنوهم أولاد الأخوة، ثم الأعمام، وأولادهم، الأقرب فالأقرب، ولهذا لما سئل الرسول ﷺ (قيل يا رسول: من أبر؟، قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك ثم الأقرب فالأقرب)، فالصلة تكون الأقرب فالأقرب بالمال وبالكلام الطيب وبالزيارة والأسلوب وبالسؤال عن حاله كل هذا نوع من الصلة اهـ.

ويجب على كل زوج أن لا يمنع زوجته من صلة أرحامها، ومن فعل ذلك أثم أشد الإثم ولا يلزم الزوجة طاعته في ذلك، لأن الطاعةَ في المعروف، ويمكنها أن تصل رحمها سرا إذا خشيت الضرر من زوجها.

واعلموا بأن الأرحام لهم حق خاص في التغاضي عن أخطائهم، ويُتحمل منهم ما لا يتحمل من غيرهم، فصلوا أرحاكم ولا تقطعوها لئلا تحبط أعمالكم، وعلموا أولادكم على ذلك، ومن صعب عليه الزيارة فليبل رحمه ولو بالسلام عبر الهاتف، فقد قال ﷺ (بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلامِ) رواه الطبراني والبزار.

(١٢) اقتناء الكلاب والتكذيب بالقدر وعقوق الوالدين وعصيان الزوجة لزوجها ومن أمَّ قوما وهم له كارهون

إن أداء الطاعات، وأداء العبادات، قد تكون سهلة على الإنسان، وقد يعاني بعضنا شيئا من المشقة في أدائها؛ ولكن ليس هذا هو المهم؛ وإنما المهم هو المحافظة على هذه الأعمال والحسنات من الضياع بعد أدائها؛ لئلا تذهب هباء منثورا.

فالمسلم قد يتعبُ ويجهَدُ لجمع الحسنات، فمحافظته على الصلوات الخمس في المسجد فيه مشقة، وعدم تخلفه عن صلاة الفجر فيه مشقة، وهكذا سائر الطاعات؛ ولكن ينبغي أن نعلم أن هناك أعمالا لو عملها المسلم ووقع فيها لكانت مبطلة لأعماله، محبطة لحسناته أو لبعضها، فيذهب هذا التعب، وهذه المشقة، هباء منثورا، أدراج الرياح، هذا هو خطر محبطات الأعمال.

فمن محبطات الأعمال والحسنات: اتخاذُ كلبٍ غير كلب ماشية أو صيد أو زرع.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ اتَّخَذَ كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ مَاشِيَةٍ، أَوْ صَيْدٍ، أَوْ

زَرْعٍ، انْتَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ» رواه مسلم.

أما الحكمة في هذا النهي فقد قال النووي–رحمه الله–:اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي سَبَبِ نُقْصَانِ الْأَجْرِ بِاقْتِنَاءِ الْكَلْبِ فَقِيلَ لِامْتِنَاعِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ دُخُولِ بَيْتِهِ بِسَبَبِهِ وَقِيلَ لِمَا يَلْحَقُ الْمَارِّينَ مِنَ الْأَذَى مِنْ تَرْوِيعِ الْكَلْبِ لَهُمْ وَقَصْدِهِ إِيَّاهُمْ وَقِيلَ إِنَّ ذَلِكَ عُقُوبَةٌ لَهُ لِاتِّخَاذِهِ مَا نُهِيَ عَنِ اتِّخَاذِهِ وَعِصْيَانِهِ فِي ذَلِكَ وَقِيلَ لِمَا يُبْتَلَى بِهِ مِنْ وُلُوغِهِ فِي غَفْلَةِ صَاحِبِهِ وَلَا يَغْسِلُهُ بالماء والتراب اهـ .

ومن ذا الذي يستطيع أن يجمع كل يوم قيراطا من الحسنات؟ وكيف بمن سيخسر كل يوم مثل ذلك؟

واليوم بعض المترفين ممن يفخرون بتقليد الغرب نجدهم يشترون الكلاب بأغلى الأثمان، ويضعونها في بيوتهم، وترافقهم في مجالسهم، لا شك أن هذا الأمر لا يجوز، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْلَا أَنَّ الكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا كُلِّهَا» رواه الترمذي والنسائي.

فبعض هذه الأسر تراها تنفق المال الكثير في تنظيف هذه الكلاب، وإطعامها وعلاجها؛

بينما تراها تبخل على نفسها أن تدفع هذا المبلغ في كفالة يتيم أو أسرة فقيرة.

فليحذر هؤلاء الناس أن يحبط من أعمالهم كل يوم قدر قيراط من الأجر، إلا ما استثناه الشرع وهو كلب ماشية أو صيد أو زرع، فإنه لا حرج في اتخاذ هذه الأنواع من الكلاب بشرط أن لا توضع داخل البيوت، وإنما خارجها؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتنا فيه كلب أو صورة كما جاء عن النبي ﷺ .

ومن محبطات الأعمال وإتلاف الحسنات: التكذيب بالقدر، فإن من الناس من قد يستهزئ بالقدر، ويكذب بالقدر وهو لا يدري، فمثل هذا لن يستفيد من حسناته التي جمعها في الدنيا، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ لَهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِالْقَدَرِ " رواه الطبراني.

وعن زيد بن ثابت ﷺ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لوْ أَنَّ اللَّهَ عذَّبَ أهْلَ سَمَاوَاتِهِ وأهْلَ أرْضِهِ، لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ كَانَ

لَكَ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، أوْ مِثْلُ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا تُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا قَبِلَهُ مِنْكَ حتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ، فَتَعْلَمَ أنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَأَنَّكَ إنْ مُتَّ عَلَى غيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ» رواه أحمد وابن ماجه.

ومن محبطات الأعمال أيضا: عقوق الوالدين، وقد ذكرت حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: (ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ لَهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا: عَاقٌّ، وَمَنَّانٌ، وَمُكَذِّبٌ بِالْقَدَر).

فليعلم العاقون، القاطعون لوالديهم، الهاجرون لأمهاتهم وآبائهم أن العقوق من أعظم الأسباب التي تحبط أعمال العبد، وأن الله لا يقبل من العاق عملاً.

ومن محبطات الأعمال أيضا: عصيان الزوجة زوجها دون وجه شرعي، ومن أم قوما وهم له كارهون، فقد روى أبو أُمَامَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ : " «ثَلَاثَةٌ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ آذَانَهُمْ: الْعَبْدُ الْآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ» رواه الترمذي.

فإن صلاة هؤلاء لا تقبل، ومع هذا فلا يؤمرون بالإعادة كما قال النووي-رحمه الله-، بمعنى أنهم خسروا ثوابها وحبط عنهم أجرها.

لذلك فلتخش الزوجة من عدم انتفاعها بحسنات صلاتها يوم القيامة حين تعصي زوجها دون عذر شرعي، وينبغي لها مراعة شعور زوجها، والوقوف على خدمته، وإرضاءه قدر استطاعتها، فلعل بعض الزوجات يسمعن الخطبة الآن عبر مكبرات الصوت، ولتعلم أن طاعتها لزوجها وسيلة سهلة لإرضاء ربها -عز وجل- ودخولها الجنة بإذن الله تعالى من أي أبوابها شاءت، لما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : "إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خُمُسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت" رواه أحمد وابن حبان.

ولا ينبغي للزوج صاحب المروءة أن يكون ديدنه تهديد زوجته بمثل هذه الأحاديث، أو أن يبيت ساخطا عليها، لئلا يذهب عليها أجر صلاتها، وإنما عليه المسارعة بالرضا عنها من داخل

قلبه، وإن لم يُظهر لها ذلك، فهي لا تزال أم عياله، وقطعة من فؤاده، وشريكتهُ في الحياة، يرجو صلاحها.

وأما من أم قوما وهم له كارهون، فهو أمر لكافة الأئمة أن يتنحوا عن الإمامة إذا كان معظم المصلين خلفهم لا يرغبون فيهم، لئلا يخسروا ثواب صلاتهم.

وقد ذكر المناوي–رحمه الله تعالى– أن المقصود بالكراهية هنا لأمر يُذم فيه شرعا كوالٍ ظالم، ومن تغلب على إمامة الصلاة ولا يستحقها، أو لا يتحرز عن النجاسة، أو يمحق هيئات الصلاة، أو يتعاطى معيشة مذمومة، أو يعاشر الفساق ونحوهم وشبه ذلك سواء نصبه الإمام أم لا.

ومن محبطات الأعمال أيضا: من صلى على جنازة ولم يؤمر بذلك، فعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: " ثَلَاثَةٌ لَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ صَلَاةٌ، وَلَا تَصْعَدُ إِلَى السَّمَاءِ، وَلَا تُجَاوِزُ رُءُوسَهُمْ: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، وَرَجُلٌ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ وَلَمْ يُؤْمَرْ.... الحديث " رواه ابن خزيمة.

فإن أولى الناس بالصلاة على الميت أقاربه ومن أوصى بالصلاة عليه بعد موته، وذلك عند غياب الوالي أو نائبه، على خلاف بين أهل العلم في ذلك؛ لذلك لا ينبغي لأحد أن يتسرع في إمامة أي جنازة حتى يأذن أولياء الميت، وهذا الحكم خاص عند الصلاة على الميت لأول مرة، أما عند تكرار الصلاة عليه من جماعات أخرى متأخرة فلا يضر من يصلي عليه.

فاحذروا كل الحذر من محبطات الأعمال فإنها تورد العبد المهالك، وقد فصلتُ عن نحو ثمانية عشر ذنبا كلها تحبط الحسنات، ينبغي معرفتها وتذكرها والتواصي فيما بيننا على تركها، فذكرت أن من محبطات الأعمال الكفر والشرك، وكره شيء من أحكام الدين، والسخرية بالدين وأهله، ومن محبطات الأعمال: انتهاك محارم الله في السر؛ لقوله ﷺ «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا» ، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»، ومن

المحبطات: التألي على الله –عز وجل– وهو القسم بأن الله لن يغفر لفلان، فقد حَدَّثَ النبي ﷺ " أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ "، ومن المحبطات: الرياء في القول والعمل، ومن المحبطات: رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ، وكذلك التقدم عليه بالقول والرأي، ومن المحبطات: ترك صلاة العصر لقوله ﷺ " مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ "، ومن المحبطات: المن على الناس وعلى الله –عز وجل–، لقوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ ، ومن المحبطات: انتهاك حقوق الناس وإيذاؤهم وظلمهم ، ودليل ذلك حديث المفلس، ومن المحبطات: الكهانة والسحر والمجيء إلى العرافين لقوله ﷺ «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»، ومن المحبطات: التعامل بالربا لقول عائشة – رضي الله عنها– حين بلغها من امرأة أن زيد بن أرقم تعامل بالربا فقالت: "أبلغي زيدا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إلا أن يتوب"، ومن المحبطات: قطيعة الرحم لقوله ﷺ «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي

آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلَا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ»، ومن محبطات الأعمال: اقتناء الكلاب والتكذيب بالقدر وعقوق الوالدين وعصيان الزوجة لزوجها ومن أمَّ قوما وهم له كارهون من صلى على جنازة ولم يؤمر بذلك.

فلنكن على حذر يا عباد الله من هذه الأعمال؛ لئلا نفاجئ يوم القيامة بذهاب حسناتنا أو بعضها دون أن نشعر، فيكون حالنا كحال من قال الله فيهم (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون).

أسأل الله تعالى أن يقينا شر هذه المحبطات، وأن يجعلنا ممن يستجيب لله ولرسوله ﷺ.

اللهم وفقنا لهداك، واجعل عملنا في رضاك، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.